وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ؛ قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ إِلاَّ كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[(١)].

الأخرى؛ قال: «**كلتا يديه يمين**»، ويؤيده أيضًا قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمٰن**»؛ فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمٰن ـ سبحانه ـ. وعلى كلٍّ؛ فإن يديه ـ سبحانه ـ اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال؛ فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى، بل كلتا يديه يمين. والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ؛ فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله: «**كلتا يديه يمين**» كما سبق، وإن لم تثبت؛ فلن نقول بها.

* * *

قوله: «في كف الرحمٰن»: هكذا ساقه المؤلف والذي في ابن جرير: «في يد الله» ففيما ساقه المؤلف إثبات الكف لله تعالى إن كان السياق محفوظًا وإلا ففيه إثبات اليد. أما الكف فقد ثبت في أحاديث أخرى صحيحة.

قوله: «إلا كخردلة»: هي حبة نبات صغيرة جدًّا، يضرب بها المثل في الصغر والقلة، وهٰذا يدل على عظمته ـ سبحانه ـ، وأنه ـ سبحانه ـ لا يحيط به شيء، والأمر أعظم من هٰذا التمثيل التقريبي؛ لأنه تعالى لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفهام.

= عاصم في «السنة» (٢٠٤، ٢٠٥).
وصححه الألباني؛ كما في تعليقه على «المشكاة» (٣/ ١٣٢٢).

(١) أخرجه: ابن جرير (٢٤/ ١٧).
وفي إسناده عمرو بن مالك النكري.
قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٩٦): «ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة تسع وعشرين ومئة، وقال: يعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، يخطئ ويغرب».
وقال الشيخ سليمان بن عبد الله؛ كما في «إبطال التنديد» (ص١٧٠): «وهٰذا الإسناد في نقدي صحيح».

وَقَالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ؛ قَالَ: قَالَ ابنُ زيدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**».

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ**

قوله: «قال ابن جرير»: هو المُفَسِّر المشهور رحمه الله، وله تفسير أثري يعتمد فيه على الآثار، لٰكن آفته أنه لم يمحص هٰذه الآثار، وأتى بالصحيح والضعيف وما دون الضعيف أيضًا، وكأنه رحمه الله أراد أن يقيد هٰذا وجعل الحكم بالصحة والضعف موكولاً إلى القارئ، وربما كان يريد أن يرجع إليه مرة ثانية ويمحصه، ولٰكن لم يتيسر ذٰلك.

قوله: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»: الكرسي: موضع قدمي الله تعالى، هٰكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، والدراهم: جمع درهم، وهو النقد من الفضة، والترس: شيء من جلد أو خشب يحمل عند القتال يُتقى به السيف والرمح ونحوهما.

قوله: «ما الكرسي في العرش»: أي: بالنسبة إليه، والعرش هو المخلوق العظيم الذي استوى عليه الرحمٰن ولا يقدر قدره إلا الله ـ عز وجل ـ، والمراد بالحلقة حلقة الدرع، وهي صغيرة وليست بشيء بالنسبة إلى فلاة الأرض.

وهٰذا الحديث يدل على عظمته عز وجل؛ فيكون مناسبًا لتفسير الآية التي جعلها المؤلف ترجمة للباب.

* * *

ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ»[١].

وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ

قوله: «وعن ابن مسعود. . .»: هٰذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لٰكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون له حكم الرفع؛ لأن ابن مسعود رضي الله عنه لم يُعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.

قوله: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام»: وعلى هٰذا تكون المسافة بين السماء الدنيا والماء أربعة آلاف سنة، وفي حديث آخر: **«إن كِثَفَ كل سماء خمسمائة عام»**[٢]، وعلى هٰذا يكون بين السماء الدنيا والماء سبعة آلاف وخمسمائة عام، وإن صح الحديث؛ فمعناه أن علو الله

---

(١) أخرجه: ابن جرير (٣/ ٧، ٨).
وقال الشيخ سليمان بن عبد الله؛ كما في «إبطال التنديد» (ص١٧٠): «رواه أصبغ بن الفرج بهٰذا الطريق واللفظ، وهو مرسل، وعبد الرحمٰن بن زيد ضعيف».
وأخرجه: محمد بن أبي شيبة في «العرش» (٥٨).
وفي إسناده إسماعيل بن مسلم المكي؛ كما في «السلسلة» (١٠٩)، وهو متروك.
وفيه أيضًا: المختار بن غسان، مجهول لا يعرف بجرح ولا تعديل. انظر: «التهذيب» (١٠/ ٦٨).
وأخرجه: البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٤ ـ ٤٠٥).
وفيه يحيى بن سعيد: قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٢٩): «يروي المقلوبات والملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد».
وفيه أيضًا ابن جريج، وهو مدلس، وقد عنعنه.
وأخرجه أيضًا من طريق آخر، وفيه: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، كذبه أبو حاتم وأبو زرعة؛ كما في «الميزان» (١/ ٧٢ ـ ٧٣).
وأخرجه: ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٩، ٣١٠). وفيه مجهول، وضعيفان.

(٢) هٰذا اللفظ قطعة من حديث الأوعال؛ كما هو في «المسند» (١/ ٢٠٦)، و«المستدرك» (٢/ ٤١٢)، وغيرهما.
وانظر تخريج حديث الأوعال بكامله: (ص٥٤٤) مع بيان ضعفه.

السَّمَاءِ السَّابِعَةِ والكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، ....

ـ عز وجل ـ بعيد جدًا. فإن قيل: يرد على هٰذا ما ذكره المعاصرون اليوم من أن بيننا وبين بعض النجوم والمجرات مسافات عظيمة؟ يقال في الجواب: إنه إذا صحت الأحاديث عن رسول الله ﷺ؛ فإنا نضرب بما عارضها عرض الحائط، لٰكن إذا قُدّر أننا رأينا الشيء بأعيننا، وأدركنا بأبصارنا وحواسنا؛ ففي هٰذه الحال يجب أن نسلك أحد أمرين:

الأول: محاولة الجمع بين النص والواقع إن أمكن الجمع بينهما بأي طريق من طرق الجمع.

الثاني: إن لم يمكن الجمع تَبَيَّن ضعف الحديث؛ لأنه لا يمكن للأحاديث الصحيحة أن تخالف شيئًا حسيًا واقعًا أبدًا؛ كما قال شيخ الإسلام في كتابه «العقل والنقل»: «لا يمكن للدليلين القطعيين أن يتعارضا أبدًا؛ لأن تعارضهما يقتضي إما رفع النقيضين أو جمع النقيضين، وهٰذا مستحيل، فإن ظُنَّ التعارضُ بينهما؛ فإما أن لا يكون تعارض ويكون الخطأ من الفهم، وإما أن يكون أحدهما ظنيًا والآخر قطعيًا».

فإذا جاء الأمر الواقع الذي لا إشكال فيه مخالفًا لظاهر شيء من الكتاب أو السنة؛ فإن ظاهر الكتاب يُؤَوّل حتى يكون مطابقًا للواقع، مثال ذٰلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]؛ أي: في السماوات.

والآية الثانية أشد إشكالاً من الآية الأولى؛ لأن الآية الأولى يمكن أن نقول: المراد بالسماء العلو، ولٰكن الآية الثانية هي المشكلة جدًا،

والله فَوْقَ العَرْشِ، ....

والمعلوم بالحس المشاهد أن القمر ليس في السماء نفسها، بل هو في فلك بين السماء والأرض.

والجواب أن يقال: إن كان القرآن يدل على أن القمر مُرَصَّع في السماء كما يرصع المسمار في الخشبة دلالة قطعية؛ فإن قولهم: إننا وصلنا القمر ليس صحيحًا، بل وصلوا جُرْمًا في الجو ظَنّوه القمر.

لٰكن القرآن ليس صريحًا في ذٰلك، وليست دلالته قطعية في أن القمر مرصع في السماء؛ فآية الفرقان قال الله فيها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]؛ فيمكن أن يكون المراد بالسماء العلو؛ كقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الرعد: ١٧]، والماء ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وهٰذا التأويل للآية قريب.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾؛ فيمكن فيها التأويل أيضًا بأن يقال: المراد لقوله: ﴿فِيهِنَّ﴾: في جهتهن، وجهة السماوات العلو، وحينئذ يمكن الجمع بين الآيات والواقع.

قوله: «والله فوق العرش»: هٰذا نص صريح بإثبات علو الله تعالى علوًّا ذاتيًا، وعلو الله ينقسم إلى قسمين:

أ ـ علو الصفة، وهٰذا لا ينكره أحد ينتسب للإسلام، والمراد به كمال صفات الله؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ب ـ علو الذات، وهٰذا أنكره بعض المنتسبين للإسلام؛ فيقولون: كل العلو الوارد المضاف إلى الله المراد به علو الصفة، فيقولون في

لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». أَخْرَجَهُ ابنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللّهِ. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللّهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى؛ قَالَ: «وَلَهُ طُرُقٌ»[(١)].

قوله ﷺ: «**والله فوق العرش**»؛ أي؛ في القوة والسيطرة والسلطان، وليس فوقه بذاته. ولا شك أن هٰذا تحريف في النصوص وتعطيل في الصفات.

والذين أنكروا علو الله بذاته انقسموا إلى قسمين:

أ ـ من قال: إن الله بذاته في كل مكان، وهٰذا لا شك ضلال مقتض للكفر.

ب ـ من قال: إنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا متصل بالخلق ولا منفصل عن الخلق، وهٰذا إنكار محض لوجود الله والعياذ بالله، ولهٰذا قال بعض العلماء: لو قيل لنا: صِفُوا العدم؛ ما وجدنا أبلغ من هٰذا الوصف. ففروا من شيء دلت عليه النصوص والعقول والفطر إلى شيء تنكره النصوص والعقول والفطر.

قوله: «لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»: يشمل أعمال القلوب وأعمال الجوارح المرئي منها والمسموع، وذٰلك لعموم علمه وسعته، وإنما أتى بذٰلك بعد ذكر علوه لِيُبَيِّن أن علوه لا يمنع علمه بأعمالنا، وهو إشارة واضحة إلى علو ذاته تبارك وتعالى.

* * *

---

(١) أخرجه: الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) وفي «النقض على المريسي» (ص٧٣، ٩٠، ١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠٥، ١٠٦، ٣٧٦، ٣٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٩٨٧)، والبيهقي في «الأسماء» (ص٤٠١)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٤٧). وقد صححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠)، والذهبي في «العلو» (ص٦٤). وقال الهيثمي (١/ ٦٨) بعدما عزاه للطبراني: «رجاله رجال الصحيح».

وَعَنِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟»**. ....

قوله: «العباس»: يقال: العباس، وعباس، و(أل) هنا لا تفيد التعريف؛ لأن عباس معرفة لكونه علمًا، لٰكنها لِلَمح الأصل؛ كما يقال: الفضل لفضله، والعباس لعبوسه على الأعداء، قال ابن مالك:

وبعض الأعلام عليه دَخلا   للمح ما قد كان عنه نُقلا[1]

قوله: «هل تدرون»: **«هل»**: استفهامية يراد بها أمران:

أ ـ التشويق لما سيذكر.

ب ـ التنبيه إلى ما سيلقيه عليهم، وهٰذا كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، هٰذا تنبيه وتشويق إلى شيء من آيات الله الكونية.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠] هٰذا تنبيه وتشويق على شيء من آيات الله الشرعية وهو الإيمان والعمل الصالح.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] تنبيه وتحذير.

وقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٠] تنبيه وتحذير، واختلاف هذه المعاني بحسب القرائن والسياق، وإلا؛ فالأصل في الاستفهام أنه طلب العلم بالشيء.

قوله: «كم»: استفهامية.

---

(١) «ألفية ابن مالك» (ص١٥).

قُلْنَا: اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيْرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ والعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، واللّٰهُ تَعَالَى فَوْقَ ذٰلِكَ، ....

قوله: «قلنا: الله ورسوله أعلم»: جاء العطف بالواو؛ لأن علم الرسول من علم الله؛ فهو الذي يُعَلِّمه بما لا يدركه البشر. وكذٰلك في المسائل الشرعية يقال: الله ورسوله أعلم؛ لأنه ﷺ أعلم الخلق بشرع الله، وعلمه به من علم الله، وما قاله ﷺ في الشرع فهو كقول الله، وليس هٰذا كقوله: **«ما شاء الله وشئت»**[1]؛ لأن هٰذا في باب القدر والمشيئة، ولا يمكن أن يُجعل الرسول ﷺ مشاركًا لله في ذٰلك، بل يقال: ما شاء الله، ثم يعطف بـ(ثم)، والضابط في ذٰلك أن الأمور الشرعية يصح فيها العطف بالواو، وأما الكونية؛ فلا. ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب على بعض الأعمال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥] بعد موت الرسول ﷺ وتَعَذُّر رؤيته، فالله يرى، ولٰكن رسوله لا يرى؛ فلا تجوز كتابته لأنه كَذِبٌ عليه ﷺ.

قوله: «خمسمائة سنة»: الميم الثانية في خَمْسِمائة مكسورة والألف لا ينطق بها.

قوله: «وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض»: وذٰلك خمسمائة سنة.

قوله: «والله تعالى فوق ذٰلك»: هٰذا دليل على العلو العظيم لله ـ عز وجل ـ، وأنه ـ سبحانه ـ فوق كل شيء ولا يحيط به شيء من مخلوقاته،

(١) سبق (١/ ٥٨).

....

لا السماوات ولا غيرها، وعليه؛ فإنه ـ سبحانه ـ لا يوصف بأنه في جهة تحيط به؛ لأن ما فوق السماوات والعرش عدم، ليس هناك شيء حتى يقال: إن الله أحاط به شيء من مخلوقاته. ولهٰذا جاء في بعض كتب أهل الكلام يقولون: لا يجوز أن يوصف الله بأنه في جهة مطلقًا، وينكرون العلو ظنًّا منهم أن إثبات الجهة يستلزم الحصر. وليس كذٰلك؛ لأننا نعلم أن ما فوق العرش عدم لا مخلوقات فيه، ما ثَمَّ إلا الله، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته أبدًا. فالجهة إثباتها لله فيه تفصيل، أما إطلاق لفظها نفيًا وإثباتًا فلا نقول به؛ لأنه لم يرِد أن الله في جهة، ولا أنه ليس في جهة، ولٰكن نُفصّل؛ فنقول: إن الله في جهة العلو؛ لأن الرسول ﷺ قال للجارية: «**أين الله؟**». وأين يُستفهم بها عن المكان؛ فقالت: في السماء. فأثبتت ذٰلك، فأقرها النبي ﷺ عليه، وقال: «**أعتِقْها؛ فإنها مؤمنة**»[(١)]. وأهل التحريف يقولون: «أين» بمعنى «مَنْ»؛ أي: من الله؟ قالت: في السماء؛ أي: هو من في السماء، وينكرون العلو. وقد رد عليهم ابن القيم رحمه الله في كتبه ومنها «النونية» وقال لهم: اللغة العربية لا تأتي فيها «أين» بمعنى «مَنْ»، وفرقٌ بين «أين» و«من». فالجهة لله ليست جهة سفل، وذٰلك لوجوب العلو له فطرةً وعقلاً وسمعًا، وليست جهة علو تحيط به؛ لأنه تعالى وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو موضع قدميه؛ فكيف يحيط به تعالى شيء من مخلوقاته؟! فهو في جهة علو لا تحيط به، ولا يمكن أن يقال: إن شيئًا يحيط به؛ لأننا نقول: إن ما فوق العرش عدم ليس ثم إلا الله ـ سبحانه ـ، ولهٰذا قال: «**والله تعالى فوق ذٰلك**».

(١) أخرجه: مسلم في (المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ١/ ٣٨٢)؛ عن معاوية بن الحكم رضي الله عنه.

وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[(١)].

قوله: «وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»: وقوله: «**أعمال**» إن قرنت بالأقوال صار المراد بها: أعمال الجوارح، والأقوال للسان، وإن أفردت شملت أعمال الجوارح وأقوال اللسان وأعمال القلوب، وهي هنا مفردة؛ فتشمل كل ما يتعلق باللسان أو القلب أو الجوارح، بل أبلغ من ذلك أنه لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم في المستقبل؛ فهو يعلم ما يكون فضلاً عما كان، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [طه: ١١٠]؛ أي: ما يستقبلونه وما مضى عليهم، ولما قال فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾؛ أي: ما شأنها؟ قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾؛ أي: محفوظة، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يجهل، ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١، ٥٢]: لا يَذْهَل عَمَّا مضى ـ سبحانه وتعالى ـ.

(١) أخرجه: أحمد (١/٢٠٦، ٢٠٧)، وأبو داود في (السنة، باب في الجهمية، ٥/٩٣)، والترمذي في (تفسير القرآن، سورة الحاقة، ٩/٦٠) ـ وقال: «حسن غريب» ـ، وابن ماجه في (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ١/٩٦)، وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٤): وفي «النقض على المريسي» (ص٩٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠١، ١٠٢)، والآجري في «الشريعة» (٢٩٢، ٢٩٣)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (٩، ١٠)، والحاكم (٢/٢٨٨، ٤١٢) ـ وصححه ـ، واللالكائي (٦٥١)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/٢)، والبيهقي في «الأسماء» (ص٣٩٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/١٤٠)، وابن حزم في «الفصل» (٢/١٠٠)، وابن قدامة في «العلو» (ص٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢/٧١٩)، والذهبي في «العلو» (٤٩ ـ ٥٠)؛ من طريق عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس.
وقال الذهبي في «الميزان» (٢/٤٦٩): «فيه ـ أي: عبد الله ـ فيه جهالة».
قال البخاري: «لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس».
وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال، وقد قال ابن العربي في عارضته: «إن خبر الأوعال متلقف من الإسرائيليات».
وانظر: «تهذيب السنن» لابن القيم (٧/٩٢، ٩٣).

....

والنبي ﷺ صَدَّر هٰذا الأمر بهل الدالة على التشويق والتنبيه من أجل أن يثبت عقيدة عظيمة، وهو أنه تعالى فوق كل شيء بذاته، وأنه محيط بكل شيء علمًا؛ لقوله: «**وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**»، فإذا علمنا ذٰلك؛ أوجب لنا تعظيمه والحذر من مخالفته؛ لأنه فوقنا؛ فهو عالٍ علينا، وأمره محيط بنا.

وفي الحديث صفتان لله: ثبوتية، وهي العلو المستفاد من قوله: والله فوق ذٰلك. وسلبية المستفادة من قوله: «**ليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم**»، ولا يوجد في صفات الله ـ عز وجل ـ صفة سلبية محضة، بل صفاته السلبية التي هي النفي متضمنة لثبوت ضدها على وجه الكمال، فَيُنفى عنه الخفاء لكمال علمه، ويُنفى عنه اللُّغوب لكمال قوته، ويُنفى عنه العجز لكمال قدرته، وما أشبه ذٰلك. فإذا نفى الله عن نفسه شيئًا من الصفات؛ فالمراد انتفاء تلك الصفة عنه لكمال ضدها؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، السِّنة: النعاس، والنوم: الإغفاء العميق، وذٰلك لكمال حياته وقيوميته؛ إذ لو كان ناقص الحياة لاحتاج إلى النوم، ولو نام ما كان قَيومًا على خلقه؛ لأنه حين ينام لا يكون هناك من يقوم عليهم، ولهٰذا كان أهل الجنة لا ينامون لكمال حياتهم؛ ولأن النوم في الجنة يذهب عليهم وقتًا بلا فرح ولا سرور ولا لذة؛ لأن السرور فيها دائم، ولأن النوم هو الوفاة الصغرى، والجنة لا موت فيها.

وليس في صفات الله نفي محض؛ لأن النفي المحض عدم لا ثناء فيه ولا كمال، بل هو لا شيء، ولأن النفي أحيانًا يرد لكون المحل غيرقابل له، مثل قولك: الجدار لا يظلم.

وقد يكون نفي الذم ذمًّا؛ كما في قول:

● **فيهِ مَسائِلُ:**

الأولى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

الثانية: أَنَّ هٰذِهِ العُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ وَلَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتأَوَّلُوهَا.

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حَبَّةَ خردلِ

فنفي الغدر عنهم والظلم ليس مدحًا، بل هو ذم يُنبئ عن عجزهم وضعفهم.

وقال آخر:

لٰكِنَّ قومي وإنْ كَانوا ذَوِي عدد لَيْسوا من الشَّرِ في شَيءٍ وإنْ هَانَا
يَجْزُون مِنْ ظُلم أَهْلِ الظُّلْم مَغْفِرةً ومِنْ إساءَةِ أَهْلِ السوءِ إحْسَانَا
كَأَنَّ رَبّكَ لَمْ يخلُق لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُم مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إنْسَانا
فَلَيْتَ لِي بهم قَومًا إذَا رَكِبُوا شَنّوا الإغَارَة رُكْبَانًا وفُرْسَانا

فنفى أن يكون لهم يد في الشر وبين أن ذٰلك لعجزهم عن الانتصار لأنفسهم وتمنى أن يكون له قوم خير منهم وأقوى.

فيه مسائل:

● **الأولى:** تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: وقد تقدم من حديث ابن مسعود، حيث أقر النبي ﷺ الحبر على أن الله يجعل السماوات على إصبع . . . إلخ.

● **الثانية:** أن هٰذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في

الثالثة: أَنَّ الحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذٰلِكَ.

الرابعة: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هٰذَا العِلْمَ العَظِيمَ.

الخامسة: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمْنَى وَالأَرْضِينَ فِي الأُخْرَى.

زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها: كأنه يقول: إن اليهود خير من أولٰئك المحرفين لها؛ لأنهم لم يُكذِّبوها ولم يتأولوها، وجاء قوم من هٰذه الأمة؛ فقالوا: ليس لله أصابع، وإن المراد بها القدرة؛ فكأنه يقول: اليهود خير منهم في هٰذا وأعرف بالله.

● **الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذٰلك**: ظاهر كلام المؤلف بقوله: «**ونزل القرآن**» أنه بعد كلام الحبر، وليس كذٰلك؛ لأنه في حديث ابن مسعود قال: ثم قرأ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، وهٰذا يدل على أن الآية نزلت من قبل، لٰكن مراد المؤلف أن القرآن قد نزل بتقرير ذٰلك.

● **الرابعة: وقوع الضحك من الرسول ﷺ لما ذكر الحبر هٰذا العلم العظيم**: ففيه دليل على جواز الضحك في تقرير الأشياء؛ لأن الضحك يدل على الرضا وعدم الكراهية.

● **الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى**: وقد ثبتت اليدان لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

وقوله: «**في الأخرى**» لا يعني أنه ينفي ذكر الشمال لما ذكره في المسألة التالية وهي:

السادسة: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالَ.

السابعة: ذِكْرُ الجَبَّارِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذٰلِكَ.

الثامنة: قَوْلُهُ: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**».

التاسعة: عِظَمُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلى السَّمَاءِ.

العاشرة: عِظَمُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلى الكُرْسِيِّ.

الحادية عشرة: أَنَّ العَرْشَ غَيْرَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ.

● **السادسة: التصريح بتسميتها الشمال**: وقد سبق الكلام على ذٰلك.

● **السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذٰلك**: ووجه ذكرهم أنه إذا كان لهم تَجَبّر وتَكَبّر الآن؛ فليقوموا بذٰلك.

● **الثامنة: قوله: «كخردلة في كف أحدكم»**: يعني بذٰلك قوله في الحديث: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمٰن إلا كخردلة في كف أحدكم**»: هٰكذا قال المؤلف رحمه الله في كف أحدكم وقد ساق الأثر بقوله: «**كخردلة في يد أحدكم**» انظر ص٥٣٥ وكلامنا على الأثر هناك.

● **التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء**: حيث ذكر أنها بالنسبة للكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس.

● **العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي**: لأنه جعل الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض بالنسبة للعرش.

● **الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء**: ولم أرَ من قال: إن العرش هو الماء، لٰكن هناك من قال: إن العرش هو الكرسي؛

الثانية عشرة: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

الثالثة عشرة: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ.

الرابعة عشرة: كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ.

الخامسة عشرة: أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ.

السادسة عشرة: أَنَّ اللّهَ فَوْقَ العَرْشِ.

لحديث: «**إن الله يضع كرسيه يوم القيامة**»(١)، وظنوا أن هٰذا الكرسي هو العرش. وكذٰلك زعم بعض الناس أن الكرسي هو العلم؛ فقالوا في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: علمه. والصواب: أن الكرسي موضع القدمين، والعرش هو الذي استوى عليه الرحمٰن ـ سبحانه ـ، والعلم صفة في العَالِم يدرك بها المعلوم.

● **الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء:** وهو خمسمائة عام.

● **الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي:** وهو خمسمائة عام.

● **الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء:** وهو خمسمائة عام.

● **الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء:** وهي ظاهرة.

● **السادسة عشرة: أن الله فوق العرش:** وهي ظاهرة.

---

(١) في حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: «. . . يوم ينزل الله فيه على كرسيه يئط به كما يئط الرحل من تضايقه كسعة ما بين السماء والأرض».
أخرجه: الحاكم مطولاً في «التفسير» (تفسير سورة بني إسرائيل، ٢/ ٣٦٤)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي: «قلت: لا والله؛ فعثمان ضعفه الدارقطني، والباقون ثقات».

السابعة عشرة: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

الثامنة عشرة: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ.

التاسعة عشرة: أَنَّ البَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاَهُ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

● **السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض:** وهو خمسمائة عام.

● **الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.**

● **التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة:** وقد سبق الكلام على جميع هذه المسائل بأدلتها، ويستفاد من أحاديث الباب:

١ ـ أن الله لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم.

٢ ـ التحذير من مخالفة الله ـ عز وجل ـ.

والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وأسأل الله أن يختم لنا ولكم بالتوحيد؛ آمين.

تم بحمد الله ومنّته الجزء الثاني
من كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد وبه تم الكتاب